# العدو المجهول

محمود سالم

# العدو المجهول

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

# العدو المجهول

محمود سالم

**الناشر مؤسسة هنداوي**
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
**تليفون:** ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
**البريد الإلكتروني:** hindawi@hindawi.org
**الموقع الإلكتروني:** https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

---

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٦ ٢٧٦٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

# المحتويات


| | |
|---|---|
| من هم الشياطين الـ «١٣»؟ | ٧ |
| أبطال هذه القصة | ٩ |
| المهاجم المجهول! | ١١ |
| مخلب النسر! | ١٥ |
| الرءوس الكبيرة ... أحقُّ بالقطع! | ٢١ |
| الموت ... في مكان ما! | ٢٥ |
| ليس يومنا! | ٣١ |
| حظيرة الجواسيس! | ٣٧ |
| الشياطين تكسب ... دائمًا! | ٤٣ |

# من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

# أبطال هذه القصة

**رقم «١»:** «أحمد» من مصر.

**رقم «٢»:** «عثمان» من السودان.

**رقم «٣»:** «إلهام» من لبنان.

**رقم «٤»:** «هدى» من المغرب.

**رقم «٥»:** «بو عمير» من الجزائر.

**رقم «٦»:** «مصباح» من ليبيا.

**رقم «٧»:** «زبيدة» من تونس.

**رقم «٨»:** «فهد» من سوريا.

**رقم «٩»:** «خالد» من الكويت.

**رقم «١٠»:** «ريما» من الأردن.

**رقم «١١»:** «قيس» من السعودية.

**رقم «١٢»:** «باسم» من فلسطين.

**رقم «١٣»:** «رشيد» من العراق.

**رقم «صفر»:** الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

# المهاجم المجهول!

درجَت الطائرةُ الخاصة فوق الممر الأسود القصير المحاط بالرمال من كلِّ جانب ثم انطلقَت كالسهم صوبَ الفضاء تاركةً وراءها المدينة الصغيرة ... وكانت تحمل مجموعةً من الشياطين هم «أحمد» و«إلهام» و«عثمان» و«رشيد» و«خالد» و«ريما».

واسترخَى «أحمد» في مقعده باستمتاع قائلًا: يا لَها من إجازة ... أسبوع كامل من الكسل والراحة فوق شواطئ سيناء الرائعة!

مالَ «خالد» إلى «أحمد» يسأله: أتظنُّ أن هناك مهمةً بانتظارنا؟ ... إن استدعاء رقم «صفر» لنا على هذه الصورة المفاجئة يدلُّ على ذلك!

ردَّ «أحمد» باسمًا: من المؤسف أن تعقبَ تلك الإجازة اللذيذة مغامرةٌ على وجه السرعة ... قهقَه «عثمان» قائلًا: أظن أنك ستغيِّر رأيك عندما تتلقَّى أمرًا بالمهمة الجديدة ... أنا شخصيًّا لا أحبُّ هذا الكسل الذي عِشْنا فيه الأسبوع الماضي، لقد تعوَّدنا على القتال والمغامرات وأتمنَّى أن تكون مهمتُنا القادمة مثيرة؛ فقد زهقنا من الراحة!

وجاءَت «إلهام» و«ريما» بالطعام، فأخذ الجميعُ يلتهمونه بشهية مفتوحة، ثم أعقبوه بعُلَب العصير المثلَّجة، وعندما انتهَوا كانوا يحسون بشيء من الاسترخاء الذي يسبق النوم. وضحكَت «إلهام» وهي تجمع بقايا الطعام قائلةً: لقد زاد وزني عدة كيلوجرامات بسبب الطعام ثم النوم والراحة، ولا بد لي من ممارسة ريجيم قاسٍ للتخلص من هذه الكيلوجرامات الزائدة عند وصولنا إلى القاهرة.

هتف «رشيد» قائلًا: أتظنين أننا ذاهبون حقًّا إلى القاهرة؟

تطلَّعَت «إلهام» بدهشة إلى «رشيد» وسألته: وأين تعتقد أننا ذاهبون؟

أشار «رشيد» إلى النافذة الصغيرة بجواره، وقال: انظروا ... إننا فوق البحر تمامًا ... ولا أظن أن هذا هو طريق العودة إلى القاهرة!

أطلَّ الشياطين من نوافذ صغيرة بجوارهم، وظهرَت على وجوههم بعضُ الحيرة ... وقال «عثمان»: معك حقٌّ يا «رشيد» ... إنَّ أقصر طريق للقاهرة لا بد أن يمرَّ بسيناء، وأعتقد أننا بمرورنا فوق البحر نسلك اتجاهًا آخر بعد أن عبرنا سيناء ... إننا فوق البحر الأبيض المتوسط بلا شك! قال «خالد» بشك: لعلنا نتجه إلى مكان مهمتنا الجديدة!

ردَّ «رشيد»: أظن ذلك ... ولن يُسعفَنا التخمينُ باتجاهٍ محدَّدٍ ستسلكُه الطائرة عند عبورها البحر، أظن أننا سنجد أنفسَنا في قلب المهمة تمامًا!

إلهام: معك حقٌّ ... ولا أعتقد أن الطيار سيُفصح عن وجهتِه وإلا لكان قد فعل عند ركوبنا الطائرة. يبدو أن المسألة سرية تمامًا! وسادَ شيءٌ من الصمت الثقيل وقد اكتسَت وجوهُ الشياطين بملامح الجدية الشديدة توقُّعًا لما ستُسفر عنه اللحظاتُ التالية. وفجأة، هتف «رشيد» بصوت حاد: إن هناك مَن يتبعنا!

على الفور تطلَّعَت رءوسُ الشياطين تجاهَه، فأشار بيده إلى خارج نافذة الطائرة بجواره وقال: هذه الطائرة ... إنها تَتْبعنا منذ عبورنا سيناء إلى البحر!

تطلَّع الشياطين إلى الطائرة البعيدة التي كانت تحتفظ بمسافة ثابتة بينها وبين طائرة الشياطين. وقال «أحمد»: إن الطائرات المدنية لا تقترب من بعضها إلى هذه المسافة ... وأظن أن هذه الطائرة حربية. وتلاقَت نظراتُ الشياطين في دهشة مكتومة. وتساءَلَت «إلهام» بقلق: وما هويتها؟!

هزَّ «أحمد» كتفَه وقال: مَن يدري؟ إن البحر الأحمر تُطِلُّ عليه عدةُ دول، كما أنه مسرحٌ لنشاط بحري لدول عديدة.

عثمان: أتظنون أنها تتبعنا؟! وهل ستهاجمنا مثلًا؟!

خالد: في هذه الحالة يجب أن ننبِّهَ الطيار بسرعة.

وما إن سمع «عثمان» كلماتِ «خالد» حتى كاد أن يندفعَ داخلًا إلى كابينة الطيار، فأمسكه «أحمد» من ذراعه قائلًا: انتظرْ يا «عثمان» ... إن تحذيرَك للطيار لن يُفيدَ فلا أظن أن هناك مطارًا قريبًا للهبوط ... ولا بد أنه لاحظَها مثلنا أيضًا.

ريما: لعلنا تمادَينا في رِيبتنا ... ربما كانت هذه الطائرة مخصصة لحمايتنا ولها علاقة بمهمتنا.

هتفَت «إلهام»: ستحمينا من ماذا؟! إننا نستقل طائرة مدنية، ولسْنا في مشاكل مع أحد الآن ...

ضاقَت عينَا «أحمد» وهو يقول: أظن أن «ريما» على حق ... إن هذه الطائرة بلا شك لها علاقة بمهمتنا التي استدعانا من أجلها رقم «صفر» ... ولكنني لا أظن أنها جاءَت لحمايتنا ... بل لعرقلة هذه المهمة!

عثمان: ماذا تقصد يا «أحمد»؟!

ببطءٍ قال «أحمد» وهو يتطلَّع من وراء زجاج نافذة الطائرة الصغيرة: هذه الطائرة ستُهاجمنا بلا شك في لحظة معينة!

هتفَت «إلهام» بعينَين واسعتَين غير مصدقة: تهاجمنا! ... كيف ذلك ونحن نستقلُّ طائرة مدنية؟! إننا لن نستطيعَ الردَّ عليها ... سنكون أشبهَ بشخص مُكبَّل يتم فيه تنفيذُ الإعدام رميًا بالرصاص دون أن يجرؤَ حتى على الصراخ!

صاح «خالد»: يجب أن نفعل شيئًا ... سوف ... وفي نفس اللحظة صرخَت «ريما»: إن الطائرة الأخرى تُهاجمنا بالفعل! وتطلَّعَت أعينُ الشياطين بشدة للخارج ... كانت الطائرة الأخرى قد اقتربَت كثيرًا وظهرَت معالمُها، وعلى الفور أدرك الشياطين أنها من طراز «إف ١٥» الأمريكية، وراحَت تحوم حول طائرة الشياطين على مسافة قريبة.

بهدوء قال «أحمد»: سوف تُهاجمنا بلا شك، ولن نعرفَ حتى هوية قائدها!

صاح «عثمان»: إنها طائرة أمريكية!

ردَّ «أحمد»: لا، إن هذا ليس مؤكدًا؛ فليس عليها علَمُ أية دولة، وهذا النوع من الطائرات تَملكُه العديدُ من الدول ...

صاحَت «إلهام» بقلق: ماذا سنفعل؟ هل سنظل مكتوفي الأيدي؟!

أحمد: سنبادر بارتداء مظلات الهبوط تحسُّبًا لأيِّ احتمال ... هيَّا بسرعة!

واندفع الشياطين نحو سترات الهبوط. وما كادوا يُكمِلون ارتداءَها حتى صرخَت «ريما»: إنها تُهاجمنا! وانطلق صاروخ من أسفلِ أحدِ جناحَي الطائرة المهاجِمة نحو طائرة الشياطين ... وفي لحظة دوَّى انفجارٌ رهيب في مؤخرة طائرة الشياطين التي راحَت تهوي إلى أسفل والنيران مشتعلة فيها ...

# مخلب النسر!

وفي الحال ألقى الشياطين بأنفسهم من باب الطوارئ واحدًا وراء الآخر، بعيدًا عن الطائرة المحترقة ... وسرعان ما كان قائد الطائرة المشتعلة يُغادرها أيضًا قافزًا بمظلته قبل أن تنفجر الطائرة المحترقة ... وتتحوَّل إلى شظايا متناثرة من اللهب في الفضاء!

وانفتحَت مظلات الشياطين وبدءوا يهبطون إلى البحر عندما استدارَت الطائرة المهاجمة نحوهم مرة أخرى. كان واضحًا أن الطائرة سوف تُكمل مهمتَها باستخدام المدافع الرشاشة ضد الشياطين وهم يتأرجحون في الهواء ولا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم. وصاح «رشيد» بغضب هائل: هؤلاء المجرمون سيضربوننا بالرصاص ونحن عُزَّل من السلاح! وفتحَت الطائرةُ المهاجِمة نيران رشاشاتها وهي تدور بسرعة حول الشياطين ...

كان الموقف يائسًا حتى إن «إلهام» أغمضَت عينَيها وقد تخيَّلَت النهاية ... وفجأة ... جاءَت النجدة من حيث لا يتوقع أحد ... فمن وراء الأفق ظهرَت طائرتان من نفس طراز الطائرة المهاجمة «إف ١٥»، وراحتَا تصبَّان نيرانَها حول الطائرة المهاجِمة التي تركَت الشياطين وحاولَت أن تفرَّ، ولكنَّ الطائرتَين حاصرتاها، وبتصويبةٍ دقيقة من إحداها انطلق صاروخ من أسفل جناحها الأيمن لينفجر في الطائرة المهاجِمة فيُحولها إلى كتلة من النار واللهب.

وهلَّل الشياطين بسرور! وحلَّقَت الطائرتان حول الشياطين مرتين ولوَّح لهما الطيَّاران بأيديهما علامةَ النصر ثم اختفيَا في الأفق ...

وتهادَت مظلَّات النجاة حتى سُلَّم البحر، وسرعان ما كانوا يستقرون فوق قواربهم المطاطية التي امتلأَت بالهواء حال نزع سدادتها.

وهتفَت «إلهام» بسعادة غامرة: لقد جاءت الطائرتان في اللحظة المناسبة!

ابتسم «أحمد» قائلًا: أظن أن رقم «صفر» تدخَّل أيضًا في اللحظة المناسبة وإلا ما جاءَت هذه النجدة العاجلة.

ومن بعيد ظهَر زورقٌ بخاريٌّ كبير سريع راح يشقُّ الماء بسرعة كبيرة مقتربًا من الشياطين، وهدَّأ من سرعته حتى توقَّف بجوارهم. وكان الزورق يحمل عَلَمًا للبحرية الأردنية، وألقى إليهم ركَّابه بالسلالم المصنوعة من الحبال فصَعِد الشياطين ووجدوا في انتظارهم ملابسَ جافة، فأبدلوا ملابسَهم، وسرعان ما كانت حجرة اللاسلكي تنتظرهم حيث أخبرهم قائد القارب بأن هناك اتصالًا هامًّا في انتظارهم ... وعلى الفور أدرك الشياطين أنها لا بد وأن تكون من رقم «صفر» ليوضح لهم شيئًا من غموض الأحداث السريعة المتلاحقة التي مرَّت بهم.

دقَّ جهازُ الإرسال فأسرع «أحمد» يرفعه ويتلقَّى الرسالة. وجاء صوت رقم «صفر» يقول: حمدًا لله على سلامتكم! أظن أن طائرتَي الإنقاذ جاءتَا في الوقت المناسب وكذلك زورق الإنقاذ ...

تساءل «أحمد»: ما هي هوية الطائرة التي هاجمَتنا؟! ولماذا؟!

ردَّ رقم «صفر»: إنها بلا شك تابعةٌ لعصابة «قبضة الموت»، وأظن أنه يكمن خلفها جهازُ مخابرات لدولة معادية؛ فالعصابة لا تملك هذا النوع من الطائرات ...

قال «أحمد»: هل لهذا الهجوم الذي حدث ضدنا ... علاقةٌ بمهمتنا التي استدعينا من أجلها؟

رقم «صفر»: بالتأكيد ... وسأشرح لكم كلَّ شيء من البداية.

وصمت رقم «صفر» لحظة ثم قال: أنتم تعلمون أننا نعتمد في الوطن العربي في تسليحنا على العديد من الدول والشركات العالمية التي تمدُّنا بالأسلحة ... وهو موقفٌ خطير بلا شك؛ لأنه يجعلنا في قبضة هذه الدول والشركات الأجنبية وسياستها العالمية؛ فهي تستطيع أن تُمليَ علينا شروطًا قاسية أو أثمانًا عالية، بل وربما تمنع توريد الأسلحة إلينا كنوع من الضغط لتغيير مواقفنا السياسية وهو ما حدث من قبل ... وفي أحيان أخرى فإن هذه الدول أو الشركات الأجنبية قد تلجأ إلى إيقاف توريد قِطَع الغيار لطائراتها ودباباتها أو غيرها من الأسلحة كنوع من الضغط أو المساومة ... وهو ما يضع حكومتَنا العربية في مواقف دقيقة!

وصمت رقم «صفر» لحظة أخرى، كان يراجع تقريرًا أمامه ثم قال: ومن أجل تقليل اعتمادنا على الخارج في التسليح؛ فقد فكرَت بعضُ الحكومات العربية في تطوير ما لديها

من أسلحة؛ خاصةً والدول الكبرى ترفض تزويدنا بالأسلحة المتطورة في حين يملكها أعداؤنا، ولهذا قررنا أن نطوِّر ما لدينا من أسلحة، وبدأ مشروع ضخم في غاية السرية في إحدى القواعد الحربية منذ سنوات ... وكان هدف هذا المشروع تطوير طائرة «الميج ٢١» القديمة الطراز لتنافس إحدى الطائرات العالمية المقاتلة، وأطلق على ذلك المشروع السري «مخلب النسر» ...

وهكذا استمرَّت تلك التجارب في سرية تامة حتى لا نتعرضَ خلالها لضغوط ما تُوقف المشروع، وكان المشروع يهدف إلى تطور «الميج ٢١» لتزيد حمولتُها إلى الضعف، وكذلك سرعتها وأقصى مدى لها، بحيث لا تقلُّ مثلًا عن الطائرة الأمريكية الحديثة «إف ١٦». هذا بالإضافة إلى زيادة سعة خزاناتها وإمكانية ملئها بالوقود وهي في الجو، وخلال الأسابيع القليلة الماضية انتهَت عملية التطوير للطائرة الميج، وتقرَّر البدء في تجربتها كمرحلة أخيرة في المشروع.

تبادل الشياطين النظراتِ في صمتٍ ترقُّبًا لما سيسمعونه، وأكمل رقم «صفر»: لقد تمَّت التجربة على الطائرة المعدلة، وكان ذلك منذ أسبوعين، فأقلعَت بنجاح تام من قاعدتها، ولكنها لم تَعُد حتى الآن!

تبادل الشياطين نظراتِ الدهشة! وتساءل «عثمان»: هل اختطُفَت؟! ... هل تحطَّمَت؟!

رقم «صفر»: إننا لا ندري مصيرَها حتى هذه اللحظة ... ففي أولى التجارب العملية على الطائرة اتجهَت نحو الصحراء لتُجريَ بعضَ المناورات، وكانت الطائرة مرصودة بالرادار وعلى اتصال مستمر بقاعدتها، وكان آخر مكان تمَّ رصدُ الطائرة بالرادار فوقه بالقرب من خط العرض «٣٠» شمالًا وخطَّي الطول «٤٤» و«٤٦» فوق الصحراء، وكان آخر ما أرسله مهندس الاتصال بالطائرة شكوى من عدم وضوح الإرسال والاستقبال مع القاعدة الجوية ... ثم انقطع الإرسال تمامًا!

رشيد: وهل تم مسح تلك المنطقة بحثًا عن «مخلب النسر»؟!

رقم «صفر»: هذا هو ما حدث بالفعل خلال الأسبوعين الماضيَّين؛ فقد انطلقَت بعثات البحث والإنقاذ تحسُّبًا لاحتمال تحطم الطائرة لسبب ما وارتطامها بالأرض، ولكننا لم نعثر على أيِّ أثر لها!

أحمد: لعلها اتجهت بعيدًا عن تلك المنطقة التي قمتم بالبحث فيها ...

ردَّ رقم «صفر» بصوت عميق: ولو كانت قد اتجهَت للخليج وسقطَت في مياهه لرصدَتها عشرات السفن والطائرات التي تجوب مياه الخليج، ولَعَلِمْنا بذلك على الفور.

قطَّب «أحمد» جبينَه وقال بعد لحظة: لعلها اتجهَت إلى دولة معادية!

ردَّ رقم «صفر» بنفس الصوت العميق: لقد بحثنا هذا الاحتمال أيضًا وثبَت عدمُ صحته لعدة أسباب، كما أن هذه الطائرة لا يمكنها الطيران على ارتفاعات منخفضة وهي الخاصية التي تمكِّن أية طائرة تطير على ارتفاع منخفض من الهروب من رَصْدها بالرادار، فهي لا تستطيع الطيران إلا على مسافات عالية ... وبذلك فإن أية محاولة لخروجها من المجال الجوي العربي كان سيتمُّ رَصْدُها حتمًا، هذا بالإضافة إلى أن طياري الطائرات الثلاث من أشهر وأكفأ طياري سلاح الطيران، وسجلُّهن الوطني نظيف ... ورائع ولا تشوبه أيةُ شائبة، فلا يمكننا أن نتهمهم باختطافها إلى مكان ما ...

تساءلَت «إلهام» بدهشة: إذن أين اختفَت الطائرة؟!

ردَّ رقم «صفر»: هذا هو السؤال الذي ستُجيبون عليه، وهناك شيءٌ هامٌّ لا بد وأن تُدركوه وهو أن شركات الأسلحة العالمية هي التي تقف خلف هذه العملية؛ فقد توصَّلَت بطريقة ما إلى معلومات عن ذلك المشروع، فساءَها ذلك؛ لأنه سيقطع عنها موردًا ماليًّا ضخمًا؛ فبنجاح التجارب على «مخلب النسر» لا شك أن الحكوماتِ العربيةَ سوف تفعل نفسَ الشيء بالعديد من أنواع الأسلحة فيقلُّ الاعتماد على شرائها من الخارج، وهو ما يقلِّل من أرباح شركات الأسلحة وبعض الحكومات الأجنبية التي تُورِّد السلاح إلينا؛ ولذلك فقد عَهِدت هذه الشركات إلى عصابة قوية تُدعَى «قبضة الموت» بإفساد مشروع «مخلب النسر». ولما كان من المستحيل على تلك العصابة أو أجهزة المخابرات التي تقف خلفها أن تتسلَّل إلى القاعدة التي تُجري عليها التجارب؛ لذلك انتظروا انتهاءَ التجارب على الطائرة، ثم استطاعوا الحصولَ عليها بطريقة ما.

وسكَت رقم «صفر» وساد صمتٌ ثقيل ...

وتساءل «أحمد» بعد لحظة: و«مخلب النسر» ... لا تزال موجودة في منطقة ما من الصحراء؟!

ردَّ رقم «صفر»: هذا مما لا شك فيه، بل تحديدًا إنها لا تزال في صحراء الحجارة ووادي الباطن ... وإن مهاجمة الطائرة «إف ١٥» لطائرتكم يؤكِّد ذلك؛ فهم يحاولون منعَكم من مواصلة البحث عن الطائرة المفقودة، ولا بد أنهم علموا بأمر مهمتكم القادمة من قبل أن تعلموا أنتم بها!

هتف «عثمان»: حسنًا ... إن لهم دَينًا في رقبتنا، ونتمنَّى أن نقابلَهم لنردَّه إليهم.

رقم «صفر»: لا شك في ذلك ... ستبدءون مهمتَكم من مدينة «السلمان» العراقية على حدود صحراء «الحجارة» باعتباركم طلبةً عربًا تدرسون الجيولوجيا في جامعة «بغداد»،

وفي مهمة علمية لدراسة طبقات الصحراء العراقية، وستجدون هناك كلَّ التسهيلات التي تحتاجونها، وسوف يقدِّمها لكم أحدُ عملائنا هناك؛ فهو على علمٍ تامٍّ بمهمتكم، كما أنه أحدُ الذين شاركوا في البحث عن «مخلب النسر»، وستكون معلوماتُه مفيدة لكم بالقطع في هذا الشأن ... هل هناك أية استفسارات؟ لم يسأل أيٌّ من الشياطين ... وقال رقم «صفر» أخيرًا: حسنًا ... سوف تحلِّق طائرة هليكوبتر بعد دقائق فوق الزورق فاستقلُّوها، فسوف تنقلكم إلى المكان المحدد لبدء المهمة ... مع تمنياتي بالتوفيق. وانقطع الاتصال وتبادَل الشياطين النظراتِ في صمت، لقد كانت مهمة في غاية الخطورة ... وقد جاءَت على غير انتظار!

وصَعِدوا لسطح الزورق الكبير ... وبعد دقائق أقبلَت هليكوبتر حربية حامَت فوق الزورق ثم تدلَّى منها سُلَّم من الحبال صَعِده الشياطين إلى قلب الطائرة ... وسرعان ما كانت تحتويهم في جوفها وتُقِلُّهم إلى مدينة «السلمان».

هبطَت بهم الطائرة في منطقة صحراوية، وهناك كانت سيارة أتوبيس صغيرة بانتظارهم حملَتهم باتجاه مدينة «السلمان» حتى لا يُثيروا ريبةَ أحدٍ بوصولهم بالهليكوبتر ... على حين حلَّقَت الهليكوبتر عائدةً من حيث أتَت ...

# الرءوس الكبيرة ... أحقُّ بالقطع!

عندما وصلَت سيارة الأتوبيس الصغيرة التي تُقِلُّ الشياطين إلى مدينة «السلمان»، كان الليل يُوشك أن يَحُلَّ، واستقبلهم عميل رقم «صفر» بمدخل المدينة، وبعد أن تعرَّفوا عليه تبادلوا كلمة السر. اصطحبهم العميلُ وكان يُدعَى «عدنان» إلى أحد فنادق مدينة «السلمان» للإقامة به. وسجل الشياطين أسماءَهم بسجلِّ الفندق باعتبارهم طلبةً عربًا يدرسون علمَ الجيولوجيا بجامعة بغداد ... وسرعان ما كانت غُرَف الفندق تحتويهم بداخلها ومعهم عميل رقم «صفر» السيد «عدنان»، ووضع أمامهم «عدنان» بعضَ الخرائط المفصلة للمنطقة، وأشار إلى موقع مدينة «السلمان» على الخرائط، وقال: هذه هي مدينة «السلمان» وهي مدينة شبه صحراوية، ويمتدُّ منها طريقان كما تريان أحدهما غربي يَصِل إلى مدينة «الزبير» التي تقع على بُعْد ٣٠٠كم في طريق فرعي مليء بالصخور والرمال، كما يمتدُّ منها طريقٌ آخر يتَّجه للجنوب ويَصِل إلى حدود المملكة السعودية بمسافة ١٨٠كم، وهو لا يختلف كثيرًا عن الطريق الأول ... وهناك طريق آخر يَصِل ما بين نهايةِ الطريق الثاني ومدينة «الزبير» ... أي إن الطرق الثلاثة تُشكِّل ما يُشبه المثلث، وتقع «صحراء الحجارة» و«وادي الباطن» في قلبه تمامًا.

تساءل «أحمد»: ألَا توجد أيُّ طرق تخترق ذلك المثلثَ الصحراوي الكبير؟

ردَّ عميل رقم «صفر»: يوجد طريق واحد يخترق الصحراء ويبدأ من «وادي الباطن»، ويَصِل إلى «مدينة الجوف» بالسعودية، لكنه لا يصلح لسير السيارات بسبب طبيعته الرملية والصخرية ولا تستخدمه إلا قوافلُ الإبل التي تَعبُر الصحراء لتختصر المسافة.

وصمتَ برهةً ثم قال: ودرجة الحرارة في قلب الصحراء لا تقلُّ عن خمسين درجة نهارًا، وهي تعتبر متاهةً وأرضًا للموت لمن يدخلها وليس خبيرًا بدروبها ومسالكها ... ولا يسكنها إلا بعضُ البدو والرُّحَّل ...

رشيد: وكيف سيبدأ بحثُنا في الصحراء؟

ردَّ «عدنان»: هناك سيارتان جيب خاصة بالطرق الصحراوية ستكون جاهزةً في منتصف الليل بكافة ما تحتاجونه من أسلحة وإمدادات وأجهزة.

عثمان: وإذا لم نعثر على شيء في أضلاع المثلث الصحراوي ... فهل ...؟

أكمل «أحمد» بلهجةِ تحدٍّ: سنخترقه بكل تأكيد ...

وأشار للخرائط قائلًا: بهذه الخرائط لن نفقدَ طريقنا ... وستُعيننا البوصلات وأجهزة الاتصال على ألَّا نفقدَ طريقنا بالصحراء.

عدنان: هل تحتاجون إلى دليل لاصطحابكم؟

أحمد: لا أظن، كما أننا نفضِّل العمل كمجموعة مستقلة، وهناك سؤال أخير ... كيف كانت طريقة بحثكم عن الطائرة المفقودة؟

عدنان: نظرًا لطبيعة المنطقة الصحراوية كان من المستحيل اختراقها من القلب إلا بواسطة طائرات الهليكوبتر، إننا لم نترك شبرًا في تلك الصحراء لم نبحث فيه عن الطائرة أو حطامها ... ولكننا لم نعثر على شيء!

إلهام: ومتى بدأ بحثكم عنها؟

عدنان: بعد أقل من نصف ساعة من اختفاء الطائرة من شاشات الرادار.

هزَّ «رشيد» رأسَه بشيء من الضيق قائلًا: لقد كان الأمر بالنسبة لكم أشبهَ بالبحث عن إبرة في كومة قش!

عدنان: ليس تمامًا ... إن بحثنا لم يعتمد على مجرد الاستكشاف البصري؛ بل استخدمنا في بحثنا أعقدَ الأجهزة المتطورة، والتي كانت كفيلةً بتحديد مكان الطائرة المفقودة بالضبط أينما كان موقعها وحتى لو تحطمت بالكامل، فعندما بدأَت أولى تجارب تشغيل الطائرة «مخلب النسر» تم وضْعُ جهازٍ خاصٍّ يُطلِق ذبذبةً معينة، وكان ذلك من جانبنا تحسُّبًا لأيِّ احتمال قد يُواجه الطائرة، فإذا ما فُقدَت أو تحطَّمَت كان سهلًا علينا العثور على مكانها بواسطة ذبذبات ذلك الجهاز الخاص.

إلهام: ولكن هذا لم يحدث، وهو يضَعُنا أمام احتمالَين ... إما أن جهاز الذبذبة تحطَّم إذا افترضنا تحطُّمَ الطائرة ...

وأكملَت «ريما»: وإما أن الجهاز انتُزع من مكانه حتى لا يدلَّ على مكان الطائرة ... وهذا معناه أن الطائرة لا تزال موجودة بمكان ما بالصحراء.

عدنان: أظن أن الاحتمال الثاني هو الاحتمال الصحيح ...

أحمد: إن مهمَّتَنا ستكون أعقدَ مما ظننَّا ... إنها أشبهُ بالبحث عن حبة رمل لها مواصفات خاصة ... في تلك الصحراء الواسعة، وعلى كلٍّ حال إنني أعشق المهمات الصعبة والمستحيلة ... لأنها تحتاج إلى أشخاص من طراز خاص.

عدنان: إن هناك فيما أظن أشخاصًا آخرين ليسوا أقلَّ مهارة أو قوة ينتظرونكم في مكان ما من تلك الصحراء، فكونوا على أتمِّ الحذر ...

ابتسمَت «إلهام» ابتسامةَ ثقةٍ واسعة وهي تطوي الخرائط، وقالت: حسنًا ... لنرَ أيُّ الشياطين ستكسب المعركة في النهاية!

# الموت ... في مكان ما!

بعد منتصف الليل بنصف ساعة؛ كان الشياطين يغادرون الفندق الصغير وقد ارتدوا ملابس خاصة بمهمتهم، عبارة عن بِذْلات أشبه ببِذْلات رجال الصاعقة وأحذية خفيفة وكاب صغير لاتقاء حرارة الشمس، علاوة على أسلحتهم الصغيرة الخفيفة التي أخفَوها بأماكن متفرقة من أجسادهم. وبأسفل كانت هناك سيارتان جيب ذات عجلات عريضة خاصة بالسير في الرمال والطرق الصحراوية، وكانت مكدسة بالماء وزجاجات العصير والأطعمة المختلفة الخفيفة والنظَّارات المقرِّبة وبعض أدوات الحفر مما يستعملها طلبةُ كلية الجيولوجيا، وفي ركنٍ خفيٍّ بكل سيارة صندوق امتلأ بمختلف أنواع المسدسات والبنادق الآلية والقنابل اليدوية وغيرها مما يستعمله الشياطين في مهمَّاتهم ...

وفي مقدمةِ كلِّ سيارة كان هناك جهازُ اتصال لاسلكي بعيد المدى وبوصلة صغيرة.

تأمَّل «أحمد» السيارتَين وقال بإعجاب لـ «عدنان»: أظن أننا نستطيع أن نشنَّ حربًا بهاتَين السيارتَين!

ردَّ «عدنان»: إنهما مجهَّزتان لتلبية كافة احتياجاتكم بالصحراء ... إنَّ فقْدَ الطريق أو نقصَ الماء لا يعني إلا شيئًا واحدًا ... الموت!

أشار «أحمد» إلى الجيب الأولى، وقال: سأستقلُّ هذه السيارة أنا و«عثمان» و«إلهام»، وسنأخذ الطريقَ الأول المتجه إلى مدينة «الزبير»، أما بقيَّتُنا، وهم «خالد» و«رشيد» و«ريما» فسوف يتجهون بالسيارة الثانية نحو الطريق الآخر إلى حدود المملكة العربية السعودية، وسوف نعود مساءً لنتقابل هنا لتُعِدَّ كلُّ مجموعة تقريرًا بما صادفَته، وبناءً عليه سيتقرر اختراقنا للصحراء ... وسوف نكون على اتصال بأجهزة اللاسلكي لمتابعة بعضنا باستمرار ... هل هناك أية أسئلة؟

لم يسأل أحدُ الشياطين وتساءَل «عدنان»: إذا لم تعودوا في المساء التالي، فهل أُرسل في طلب مساعدة لكم؟

رمق «أحمد» عميلَ رقم «صفر» بعينَين واثقتَين وقال: إذا لم يستطع الشياطين مساعدة أنفسهم، فلا أظن أن أحدًا يمكنه تقديم تلك المساعدة لهم ... إننا نتصرف دائمًا على هذا الأساس!

ابتسم «عدنان» وقال: إنكم تستحقون حقًّا لقبَ الشياطين!

وربَّت على كتف «أحمد» قائلًا: حالفكم التوفيق!

وفي لحظات قليلة أدار الشياطين محرِّكَي السيارتَين، واستقل «أحمد» و«عثمان» و«إلهام» أولاهما، واستقل بقية الشياطين «خالد» و«رشيد» و«ريما» الجيب الأخرى، وأخذَت كلٌّ من السيارتَين طريقَها المحدَّد في قلب الظلام.

كانت قد مضَت أكثر من أربع ساعات ... وبدأَت أولى خيوط الفجر تلمع في الأفق الحالك، فظهرَت على البعد كأنها خيوط نورانية رسمَتها يدُ فنان ماهر في لوحة شديدة السواد ...

وهتف «أحمد»: يا لَلمشهد الرائع!

عثمان: سوف يطلع النهار بسرعة، دعونا نسترِحْ قليلًا من عناء ركوب الجيب كلَّ هذا الوقت ...

أحمد: إذن دعونا نتَّجهْ إلى هناك.

وسرعان ما كانت الجيب تشقُّ طريقَها مرةً أخرى وقد انبلجَ النهار تمامًا ... ومن بعيد ظهرَت عدة مبانٍ حجرية صغيرة إلى اليسار من الطريق كان واضحًا أنها تخصُّ المنجم المهجور، وانحرف «أحمد» بسيارته داخل الرمال حتى توقَّف أمام المباني الحجرية المهجورة، ومن بعيد بدَت فُوَّهةُ المنجم القديم الغائرة في الأرض ... ومن الخلف ظهر ممرٌّ صغير يصلح لهبوط طائرة الإمدادات التي تأتي بالأطعمة والمياه لعمال المنجم وتقوم بنقلهم، وكان الممر مغطًّى بالرمال الكثيفة التي افترشَته بسبب الإهمال.

لم تكن هناك أية حياة بالمكان، وبعد أن تفحَّصَه الشياطين الثلاثة لم يجدوا ما يَريبُ به، فعادوا إلى الجيب التي قادها «أحمد» ليشقَّ الطريق باتجاه الشرق، وعلى مسافة ظهرَت مباني المنجم الثاني ... وكان يسوده الهدوءُ والسكون، وأوقف «أحمد» الجيب على مبعدة وهبط ثلاثتُهم مقتربين من المباني الصغيرة المصنوعة من الخشب السابق التجهيز والألومنيوم أيضًا المستخدم للإدارة ولنوم العاملين ومعيشتهم. ومن الخلف وعلى مسافة حلَّقت طائرةٌ عتيقة من طائرات الحرب العالمية الثانية ثم هبطَت فوق ممرٍّ صغير خلف المساكن القليلة المتناثرة، وسرعان ما اندفع إليها بعضُ العمال ليقوموا بتفريغها من المواد التموينية والمياه والأغذية ...

واقترب الشياطين الثلاثة من أحد العمال الذي أبدَى دهشتَه لوجودهم في ذلك المكان القاحل، إلا أنه أخفى دهشتَه ورحَّب بهم، وقالت «إلهام» بمودة: إننا بعض الطلبة ونقوم بدراسة هذه المنطقة وطبيعتها الجيولوجية، وقد نفدَ ماؤنا ونحتاج إلى بعض الماء.

وأكمل «أحمد»: سنكون شاكرين لو حصلنا على قليل من الطعام أيضًا.

ردَّ العامل: يمكنكم أن تُقابلوا مستر «جيمس»، فهو المسئول هنا ولا بد أنه سيُجيبكم إلى طلبكم برغم شراسته مع العمال المحليِّين ... إنه المدير هنا منذ أُنشِئَ هذا المنجم بعد إغلاق المنجم القديم القريب منذ عام.

وقادهم العامل إلى مبنًى صغير معدني، وبالداخل استقبلهم مستر «جيمس» مندهشًا، وكان أجنبيًّا يتحدث العربية بشيء من التعثُّر، وعندما عَلِم بمهمَّتِهم التي شرحَها له «أحمد» أمر العمال بإحضار بعضِ الماء والطعام والفاكهة وحمل الشياطين الثلاثة المئونة إلى سيارتهم و«جيمس» يتبعهم في فضول إلى السيارة وهو يتأمل محتوياتها ... وأدار «أحمد» موتورَ السيارة وقبل أن ينطلق بها.

التفَت «أحمد» إلى «جيمس» وسأله: هل تَصِل الكهرباء إليكم من مدينة «السلمان» لتستخدموها في إنارة المكان ليلًا؟

ضحك «جيمس» قائلًا: هذا مستحيل ... فهو يتكلَّف عشرات الملايين والمنجم ليس كثيرَ الربح، فهي عملية غير اقتصادية، إن هناك بضعة مولدات صغيرة تمدُّنا بالكهرباء وهي تكفي للإنارة.

شكره «أحمد» وانطلق بالسيارة ونظر «عثمان» و«إلهام» نحو «أحمد» بدهشة لسؤاله الغريب عن مصدر الكهرباء، وهتف «عثمان» بشك: هل وجدت في المنجم ما يريبك يا «أحمد»؟!

التفتَ «أحمد» إلى «عثمان» بعينَين ضيقتَين قائلًا: نعم ... إن هذا المنجم مريب فعلًا!

وكان قد ابتعد بالسيارة لبضعة كيلومترات فدارَ بها خلف بعض التلال الصخرية، وأوقفها بحيث لا يمكن رؤيتها من المنجم ... وقفز من السيارة هاتفًا في رفيقَيه: اتبعاني ... فتَبِعه الاثنان وتسلَّقوا أحدَ التلال العالية.

وأمسك بنظَّارته المقرِّبة وراح يوجِّهها نحو المنجم وهو يتفحَّص كلَّ شبر فيه ... ولم تستطع «إلهام» أن تكتم فضولها أكثر من ذلك فهتفَت: إنني لم أفهم ما الذي جعلك تشكُّ في ذلك المنجم يا «أحمد»!

أبعد «أحمد» النظارة عن عينَيه، وقال: ألم تلاحظي شيئًا غريبًا في ذلك المنجم ... إن المنجم السابق كانت المباني الإدارية به وأماكن لنوم العاملين من الحجارة، أما هذا المنجم

الجديد والألومنيوم وهذه الخامات فمبانيه من مواد سابقة التجهيز من الخشب ترتفع درجة حرارتها بشدة في حرِّ الظهيرة فتصير جهنم، وهي بالتأكيد تحتاج إلى أجهزة تكييف ضخمة لتجعل الحياة محتملة بداخلها.

أكملَت «إلهام» وقد فهمَت ما يقصده «أحمد»: وهذا معناه أن هناك مصدرًا ضخمًا جدًّا للطاقة بالمنجم!

– هذا صحيح ... ونظرًا لكذب «جيمس» علينا؛ فليس هناك أدنى شكٍّ في أن المنجم به ما يريب ... وليس من المستبعد أن يكون له علاقة باختفاء «مخلب النسر»، خاصةً وأن هذه المنطقة فقيرة في خام الحديد الذي يشكِّل استخراجُه خسارةً اقتصادية كما أن ...

والتمعَت عيناه بشدة وهتف: كيف فاتني ذلك؟! «إلهام» أسرعي واتصلي ببقية الشياطين في الجيب الثانية، واطلبي منهم أن يقطعوا رحلتهم ويأتوا إلى هنا فورًا ... إنني واثق مليون في المائة أن «مخلب النسر» تختفي في مكان ما قريب من هذا المنجم.

لم تناقشه «إلهام» فيما قاله وقفزَت بسرعة نحو السيارة، وأخذَت تحاول الاتصال بالمجموعة الثانية بلا فائدة؛ فقد كان هناك ما يُشبه الطنين الخافت يصدر من الجهاز وتذكَّرت «إلهام» ما حدث للطائرة المفقودة، فأسرعت عائدةً إلى «أحمد»، وقالت لاهثة: يبدو أن هناك جهازًا ضخمًا للتشويش يقوم بتعطيل الإرسال والاستقبال في جهاز اللاسلكي!

هزَّ «أحمد» رأسه قائلًا: إذن فقد صحَّت ظنوني ... إننا في عرين الأسد بالفعل ... لا بد أنهم شكُّوا فينا أيضًا! وفي نفس اللحظة دوَّت صيحة «عثمان»: انظروا هناك خمس سيارات جيب مسلحة تتجه نحونا ... لا بد أنها سيارات عصابة «قبضة الموت»! وأطلَّت رءوس الشياطين الثلاثة من فوق التل بالنظَّارات المقرِّبة، ومن بعيد لاحَت السيارات تقطع الطريق باتجاههم بسرعة بالغة. فقفز «أحمد» من مكانه هاتفًا: هيَّا بنا فلا وقتَ لإضاعته لقد انتظروا حتى ابتعدنا عن المنجم، ولم يشاءوا مهاجمتَنا هناك حتى لا يُثيروا شكَّ العمال المحليِّين. إن المواجهة مع هؤلاء المسلحين في ذلك العراء لن تكون في صالحنا قطعًا ... دعونا نستدرجهم إلى منطقة صخرية قريبة حتى يسهل قتالهم هناك.

وقفز ثلاثتُهم داخل الجيب التي أطلق لها «أحمد» العنان، ومن الخلف انطلقَت المدافع الرشاشة نحوهم كالسيل المنهمر، وضغط «أحمد» فوق دواسة البنزين، فمرقَت الجيب بأقصى سرعتها فوق الطريق الرملي مثيرةً عاصفة من الرمال ... وأخذَت المسافة بينها وبين السيارات المطاردة تتَّسع وتتَّسع وسيارة الشياطين تقترب من بعض الصخور التي تشكِّل حاجزًا جيدًا للحماية.

وفجأةً، ظهرَت طائرة صغيرة في الأفق وراحَت تقترب من الأمام بطريقة بالغة الخطورة حتى كادَت تصطدم بهم، وصرخَت «إلهام»: حاذر يا «أحمد»، وأدار «أحمد» مقود السيارة بطريقة بالغة الخطورة ليتفادى الطائرة.

ولكن تصرُّفه جاء متأخرًا؛ فقد أطلقَت الطائرة صاروخًا أصاب الأرض أسفل مؤخرة السيارة على بُعْد أمتار قليلة منها، فانقلبَت السيارة فوق الرمال عدة مرات وقد اشتعلَت فيها النيران.

# ليس يومنا!

كان الأمرُ أشبهَ بالجحيم الذي لم يرَه أحد قبلًا ... واشتعلَت النار بالسيارة وهي تكاد أن تلتهمها التهامًا ... ولحسنِ الحظِّ فإن الإصابة كانَت في مؤخرة السيارة التي انقلبَت إلى شعلة نارية، وكان الأمر يهدِّد بكارثة فلا بد أن تطول النار صندوق الأسلحة والقنابل وعندئذٍ ينفجر كلُّ شيء بالسيارة ويتحول إلى شظايا!

أدرك «أحمد» ذلك برغمِ الدويِّ المفزع الذي راح يطنُّ في رأسه وهو ملقًى بداخل كابينة السيارة المنقلبة ... وأحسَّ بشيء ساخن لَزِج يلمس بشرتَه الملتهبة ... كانت جبهتُه تَدْمَى بلا شك، وتنبَّه تمامًا وهو يحاول السيطرة على جسده وعضلاته، كانت «إلهام» بمنتصف الكابينة وقد فقدَت وعْيَها، أما «عثمان» فكان يدفع الباب الآخر مستخدِمًا يدَيه وقدمَيه في ضربات متوالية ... وأخيرًا انفتح البابُ فقفز «عثمان» إلى الخارج ولم تكن به أية إصابة، فهتف «أحمد» به: أَخْرِج «إلهام» عن تلك النار!

أسرع «عثمان» يحمل «إلهام» فوق كتفه ويعدو بها بعيدًا، وغادر «أحمد» السيارة من باب القيادة بصعوبة ... ولم يصدِّق عينَيه وهو يرى النار التي أحاطَت بالسيارة من كل جانب! إن الحظ الذي ساندهم كثيرًا من قبل لم يتخلَّ عنهم تلك المرة أيضًا ... ومن بعيد ظهرَت السيارات الخمس المطاردة لهم وهي تقترب منهم على حين ابتعدَت الطائرة المهاجِمة الصغيرة التي أصابَت سيارتهم الجيب.

وصرخ «عثمان» في «أحمد» ابتعد عن الجيب يا «أحمد» ... سوف تنفجر بسبب ما تحمله من وقود وقنابل. ولكن «أحمد» كان يُدرك أن الموقف ميئوس منه بالفعل؛ فوجودهم في تلك الصحراء العارية بلا سلاح سيجعلهم صيدًا سهلًا لهؤلاء المهاجمين، ولن يزيدَ مصيرُهم عن الأَسْر أو القتل ... ولم يكن هناك سوى تصرُّفٍ وحيد ... وبجرأة بالغة اندفع يقتحم السيارة المشتعلة، كان يعرف مكان صندوق الذخيرة، ولم يكن بحاجة إلى

أن يستخدم عينَيه للبحث عنه فغطَّى وجهَه بذراعه ليحميَه من النيران، وبالذراع الأخرى تقلَّصت أصابعُه فوق صندوق الذخيرة وجذبه إلى الخارج، وفي لحظة خاطفة كان يعدو به مبتعدًا عن السيارة المشتعلة.

لم يستغرق الأمر أكثر من ثانيتَين، وفي الثانية الثالثة انفجرَت السيارة فانبعث منها لهيبٌ ودويٌّ شديد …

واستعادَت «إلهام» وَعْيَها على صوت الانفجار، وسرعان ما كانت تتذكَّر كلَّ ما حدث فصرخَت بفزع: «أحمد»!

وشاهدَت «عثمان» وهو يزحف ويساعد «أحمد» المصاب على الزحف أيضًا … كان الاثنان يزحفان مبتعدين عن مكان السيارة المنفجرة و«أحمد» يجرُّ صندوقَ الذخيرة معه برغم إصابته الواضحة والحروق الخفيفة التي ملأَت ساعدَيه.

وما كادَت «إلهام» تندفع جارية نحوهما حتى انهال الرصاص نحوها من سيارات العصابة كالمطر.

فصرخ «أحمد» بها: تَوارَي يا «إلهام»!

فقفزَت «إلهام» عائدةً إلى مكمنها خلفَ بعض الصخور … وواصل «أحمد» و«عثمان» زحفَهما وما كادَت السيارات الخمس المهاجمة تتوقَّف على بُعْد أمتار قليلة حتى كان «أحمد» و«عثمان» قد تواريَا خلف الصخور بجوار «إلهام»، وقد نجح «أحمد» في إنقاذ صندوق الذخيرة، وأسرع «عثمان» يستخرج من الصندوق عددًا من المدافع الرشاشة والمسدسات ويحشوهما بالرصاص بسرعة، في حين تألَّقَت الدموع في عينَي «إلهام» وهمسَت لـ «أحمد»: هل إصابتُكَ خطيرة؟

ابتسم «أحمد» برغمٍ عنه قائلًا وهو يُربِّت على يدِها مُطَمْئِنًا: ألَم أُخبرْكِ من قبل بأنني أستمدُّ قوَّتي من وجودِك بجواري؟ فكيف تستطيعون التخلُّصَ مني إذن؟! وتأمَّل ساعدَيه وكفَّيه وهو يقول: من المؤسف أن تلك الجروح والحروق البسيطة ستُخفي اللونَ البرونزيَّ الذي اكتسبته من شواطئ سيناء.

صرخَت «إلهام» في غضبٍ شديد: سوف يدفعون ثمنًا غاليًا لفَعْلتِهم الإجرامية!

وكان رجال العصابة في تلك اللحظة قد ظنوا استسلام الشياطين أو موتهم، وما كادوا يتقدمون باتجاههم حتى اختطفَت «إلهام» أقربَ مدفع رشاش إليها وأخذَت تُطلقه بدفعاتٍ متتالية نحو المهاجمين …

وفُوجئَ رجال العصابة فأسرعوا يحتمون بسيارتهم وقد سقط منهم ثلاثةٌ جرحَى، وانضم «عثمان» إلى «إلهام» وأخذ الرصاص يخترق هياكل السيارات المهاجِمة، فأخذ رجال

العصابة يردُّون عليهم بالرصاص ... واستمر التراشق لفترة، وبدأَت «إلهام» تحسُّ بشيء من القلق فإن ذخيرتَهم سوف تنفد قريبًا وهؤلاء المهاجمون يحملون كميةً كبيرة من السلاح!

وهتف «عثمان» وهو يُلقي بقنبلة يدوية تجاه السيارات الجيب: هيَّا ذوقوا طعامَنا المرَّ أيها المجرمون! وسقطَت القنبلة أسفل إحدى السيارات فانفجرَت لتُحيلَها إلى كرة من اللهب ... كان عدد أفراد العصابة يتناقص وقد أُصيب نصفهم ... وهتف أحدُهم بصوتٍ عالٍ وكان يبدو أنه قائد المجموعة: استسلموا وإلَّا فلا أملَ لديكم للنجاة!

وجاوبه «أحمد» بطلقةٍ محكمة من مسدسه أصابَت القائد في كتفه وجعلَته يترنَّح ويسقط على الأرض.

وصاح «أحمد» بصوتٍ عالٍ: هذا هو ردُّنا أيها الجبناء!

وعاد التراشق بالرصاص أشد مما كانت ... وفجأةً دوَّى أزيز من بعيد ... وظهرَت نقطةٌ صغيرة راحَت تقترب وتقترب في الفضاء وهي تكبر ... وجزَّ «أحمد» على أسنانه وهو يراقبها بعد أن اتضحَت معالُمها وقال: إنها الطائرة التي أصابَت سيارتنا ... أُقسم ألَّا أجعلَ قائدَها ضمن عالم الأحياء بعد اليوم!

وأسرع يحتمي بصخرة عالية في مواجهة الطائرة ... كان كلُّ ما معه مسدسه الصغير، صوَّبه بإحكام باتجاه الطائرة التي راحَت تقترب وتقترب ...

وبدَا «أحمد» كتمثال لا حياة ولا حركة، وقد صوَّب مسدسَه لأعلى بيدَيه الاثنتين وبقيَ على هذا الوضع ساكنًا ... كانت عيناه فقط هي التي تتحرك وتُتابع الطائرة التي تقترب في مواجهته ... وكانت الطائرة تقترب بسرعة؛ فقد شاهد قائدها «أحمد» في ذلك الوضع فلمعَت ابتسامةٌ سخريةٍ فوق شفتَيه وهتف لنفسه: لن يُفلتَ مني هذه المرة!

وأسرع يقترب هابطًا ويدُه فوق زرِّ إطلاق الصواريخ ... كان يريد إصابةَ «أحمد» إصابةً محكمة تُنهي غرورَ ذلك الشيطان وثقتَه بنفسه. وكان هذا هو ما يريده «أحمد» بالضبط ... فإن اقتراب الطائرة منه تجعل من السهل عليه إصابتها إصابةً مباشرة في خزان وقودها ... وعندما اقتربَت الطائرة من «أحمد» كتمَت «إلهام» أنفاسَها ذعْرًا على حين صرخ «عثمان»: سوف يُطلق صاروخًا عليك يا «أحمد»!

وضغط «أحمد» فوق زناد المسدس وهو يصوِّبُه بدقة نحو مكان خزان الوقود بالطائرة ... في نفس اللحظة التي ضغط فيها قائدُ الطائرة فوق زرِّ إطلاق الصاروخ وحدث الانفجار في لحظة واحدة؛ فقد انفجرَت الطائرة في الجو لحظة انفجار الصاروخ عند ارتطامه بالصخرة العالية التي كان «أحمد» يحتمي خلفها ...

وصرخَت «إلهام»: «أحمد»! عندئذٍ جاوبها صوتٌ ضاحكٌ من الخلف: إن أجلي لم يَحِنْ بعدُ!

كان الشيطان قد أسرع متدحرجًا هابطًا لأسفل بعد أن أطلق مسدسه فلم يُصبْه الصاروخ ولم تملك «إلهام» نفسَها فتعلَّقَت برقبته وهي تجهش بالبكاء ... وراقب «عثمان» المشهدَ باسمًا، وقال: حسنًا ... دعونا نجعل أعداءَنا يَذْرفون بعضًا من هذه الدموع ... ولتكُن دموعًا ساخنة مُرَّة المذاق!

وألقى بآخر قنبلة بالصندوق فانفجرَت على يسار إحدى السيارات المهاجِمة لتُشعل النار بها ... وأفاق رجال العصابة من ذهولهم، وعاد التراشق بالنار كما كان. وفجأة توقَّف مدفع «عثمان» عن إطلاق الرصاص ونظر «أحمد» نظرةً ذات مغزًى، لقد نفد الرصاص وحدث نفسُ الشيء لـ «إلهام» ثم «أحمد»، كانوا قد استهلكوا كلَّ ما لديهم من رصاص وقنابل خلال المعركة التي استمرَّت طويلًا ولم يتبقَّ سوى ثلاث رصاصات فقط في مسدس «أحمد» ... على حين كان هناك عشرة رجال من العصابة لا يزالون يحملون أسلحتهم ويُطلقونها نحوهم.

وهتف «أحمد» بقلق: ما العمل الآن؟! سوف يكتشفون نفادَ ذخيرتنا فيطوقوننا ونُصبح صيدًا سهلًا لهم!

هتف «عثمان»: ليس هناك حلٌّ سوى أن نستوليَ على إحدى سياراتهم الجيب وننطلق بها!

إلهام: ولكن كيف؟! إنهم يحتمون خلفها.

لمعَت عينَا «أحمد» وقال: لديَّ فكرة ... عليكما بالتسلُّل خلف هذه الصخور حتى تصيروا قريبين من مكان السيارات الجيب، وسأكفُّ أنا عن إطلاق الرصاص حتى أُفلت فيُسرعون باتجاهي وعندئذٍ يمكنكم أخذ سيارة والانطلاق بها بسرعة للاستعانة بباقي الشياطين ...

هتفَت «إلهام» مستنكرة: ماذا؟! هل نتركك هنا لهؤلاء المجرمين؟!

أحمد: ليس هناك حلٌّ آخر، إننا في موقف دقيق ...

هتفَت معترضة: ولكن ...

قال «أحمد» بحدَّة: نفِّذي الأمر يا «إلهام» من فضلك ... ولا تنسَي أنني قائد المجموعة ...

وهتف «عثمان» متأثرًا: هيَّا بنا!

وأخذ الاثنان يزحفان ليدورَا خلف الصخور، وبدأ رجال العصابة ينتبهون إلى أن الشياطين الثلاثة لم يُطلقوا رصاصة واحدة منذ دقائق ... فأطلُّوا برءوسهم وأدركوا نفادَ ذخيرتهم.

وهتف أحد رجال العصابة: استسلموا واخرجوا رافعي الأيدي وإلَّا قتلناكم!

برز «أحمد» من مكانه بعد أن ألقى مسدسه أسفل قدمَيه ورفع يدَيه قائلًا: زميليَّ مصابان هنا خلف الصخور ولا يمكنهما الحركة!

تشاور رجال العصابة ... وبعد لحظة بدءوا يتقدَّمون صوبَ «أحمد» شاهرين أسلحتهم ... وما كادوا أن يقطعوا نصف المسافة حتى كان «عثمان» و«إلهام» قد وصلَا بالقرب من سيارات الأعداء ... فقفزَا إلى إحداها وأدارَا محرِّكَها.

كانت الحركة مباغتةً لرجال العصابة، فاستداروا للخلف في ذهول، وفي نفس اللحظة التقط «أحمد» مسدسه من الأرض، وأطلق ثلاثَ طلقات محكمة هي كل ما يحتويه مسدسه من رصاصات ... وعلى أثرها سقط ثلاثةٌ من رجال العصابة، فأسرع «أحمد» بإلقاء نفسه فوق الأرض، وراح يتدحرج مبتعدًا عن الرصاص المنهمر نحوه.

وأخذ يجري ويجري ... كان يجري بأقصى سرعة فوق الرمال محتميًا بالصخور الحادة المتناثرة من طلقات الرصاص خلفه، وساعدَته المفاجأة التي أحدثها رجالُ العصابة فلم يتعقبوه، وبدأت خطواته تُبطِئ شيئًا فشيئًا ... وبدأ يحسُّ بحرارة الشمس الشديدة والأرض الساخنة، فوقف يستريح لاهثًا متعَبًا، وأطلَّ من فوق إحدى الصخور العالية، كان قد أصبح بعيدًا عن العصابة بمسافة كافية، وفي الناحية الأخرى شاهد السيارة الجيب التي انطلق بها «عثمان» و«إلهام» فابتسم ابتسامةً واسعة، ولكن فجأة، برزَ من الطريق المضاد أكثرُ من خمس سيارات أخرى للعصابة حاصرَت سيارة «إلهام» و«عثمان»، وبعد معركةٍ قصيرة سقط الشيطانان في الأَسْر.

وجزَّ «أحمد» على أسنانه بغضب هائل وهو يَرقُب ما حدَث على بُعْد كيلومترات، وهتف حانقًا: يبدو أن هذا اليوم ليس يوم الشياطين!

# حظيرة الجواسيس!

توقَّفَت السيارات الجيب أمام المبنى الإداري الكبير السابق التجهيز في المنجم على شكل طابور ... وكان «عثمان» و«إلهام» قابعَين في مؤخرة السيارة الأولى يرقبان ما يجري بصمت بعد أن تمَّ أَسْرُهما والقبض عليهما ...

وفجأة، تحرَّك جزءٌ من المبنى كأنما يدور على محور أرضي ليظهر أسفله فُتْحةٌ كبيرة هابطة لأسفل كالنفق ...

وبدأت السيارات تتهادَى لتدخل في تلك الفُتحة حتى أتمَّت عددَها ... وتلاقَت أبصارُ «عثمان» و«إلهام» في صمت! وعاد المبنى ليحتلَّ مكانه كأنما لم يحدث شيء.

وانطلقَت السيارات في النفق الطويل أقل من مائتي متر ثم انحرفَت يسارًا وتوقَّفَت في مساحة كبيرة تتخلَّلُها الأنوارُ اللامعة.

ودفع قائد السيارة «إلهام» و«عثمان» بخشونةٍ قائلًا: هيَّا اهبطَا؛ فقد انتهَت النزهة!

هبط الشيطانان في صمت، وأحاط بهم عدةُ أشخاص مسلحون من أفراد العصابة حلُّوا قيودهما ثم انتهى بباب من الفولاذ فتحَه أحدُ المسلحين بمفتاح معه ثم دفعهما بداخل الحجرة الضيقة، وعاودوا إغلاقَ الباب الفولاذي الذي تتخلَّلُه نافذةٌ ضيقة في نصفه العلوي ... خبط «عثمان» الباب بقبضته في غضب شديد ... فقالت «إلهام» بهدوء: لن تُفيدَنا الثورة يا «عثمان» ... إننا بحاجة إلى استخدام عقولنا أكثر من استخدام عضلاتنا في هذا المكان ... من المؤسف أن بقية المجموعة ليسَت لديها فكرةٌ عمَّا جابهناه هنا، فلو خطر ببالهم ما نحن فيه لأسرعوا لإنقاذنا!

غمغم «عثمان» قائلًا: إن أملَنا الوحيد هو «أحمد».

وتجهَّم وجهُه وهو يُكمِل: ولا أدري كيف سيتصرف في مثل هذا المأزق الذي وقع فيه ... فمن المستحيل أن يعود إلى «السلمان» على قدمَيه للاتصال ببقيَّتِنا ... يا لَهؤلاء الأوغاد ... إنها عصابة رهيبة حقًّا!

إلهام: إنهم بارعون أشدَّ البراعة! لقد تخفَّوا في شكل أصحاب أحدِ المناجم ليستغلُّوا ذلك في عملهم الإجرامي ... أرأيتَ ذلك النفق الذي انكشف عنه المبنى الإداري الكبير؟! إن هناك ما يُشبه المدينة الحية أسفل ذلك المنجم!

التفتَ «عثمان» لـ «إلهام» قائلًا: إن هذا يفسِّر سرَّ اختفاء الطائرة ... لا بد أنها هبطَت في مكان قريب، ولا تنسَي أن هناك ممرًّا قريبًا لهبوط الطائرات التي تحمل المواد التموينية للعمال.

إلهام: وما أسهل أن يتمَّ إخفاؤها تحت الأرض الرملية في إحدى الحظائر التي يُخفيها أحد المباني السابقة التجهيز هنا!

ولمعَت عيناها وهي تقول: إن هذا يفسِّر سرَّ استخدام المباني السابقة التجهيز في السكن هنا.

هتف «عثمان»: نعم ... نعم ... هذا هو ما لاحظه «أحمد» قبلنا وإن لم يتَّسع الوقتُ له ليشرحَ استنتاجه ... لقد أراد «أحمد» بسؤاله لـ «جيمس» أن يجعلَه يكشف نفسَه بنفسه ... فسأله عن الطاقة التي تمدُّ هذا المكان بالإضاءة والتكييف ... هذا واضح تمامًا ... لقد اهتدَى «أحمد» قبلنا إلى أن هذه المباني السابقة التجهيز يمكن بسهولة عند تصميمها جَعْلها تتحرك من مكانها على محاور لتكشف فجواتٍ أسفلها يمكن استخدامها كمخابئ أو حظائر لإخفاء الطائرة!

أكملَت «إلهام» حديثَها بعينَين ضيِّقتَين: إن هذا يكشف أن ذلك المنجم لم يُستغلَّ أصلًا إلا للحصول على «مخلب النسر» ... هل تتذكر حديثَ العامل الذي قابلناه عند مجيئنا إلى المنجم صباحًا ... لقد قال إن المنجم أُنشِئَ من عام واحد، إذن فقد كانت تلك العصابة على علمٍ بالتجارب التي تَجري لتطوير «مخلب النسر»، فأنشأَت ذلك المنجم لتُخفيَ فيه الطائرة عند إجبارها على الهبوط، وبالطبع لن يشكَّ أحدٌ في جنسية أو أهداف بعض الأجانب أو شركة أجنبية تقوم باستغلال منجم للحديد في الصحراء ... لقد خطَّطَت عصابةُ «قبضة الموت» جيدًا لعملها ومنذ وقت طويل انتظارًا لهذه اللحظة!

عثمان: إنهم لا يعملون وحدهم ... إن هناك إحدى الدول المعادية التي أمدَّ جهاز مخابراتها العصابة ببعض الفنيِّين الخبراء في الطائرات؛ فإن أية عصابة مهما كانت قويةً ينقصها الخبرات في مثل هذا المجال.

إلهام: هذا لا شك فيه، لقد أهملوا المنجم القديم لوقوعه بجوار الطريق، وجهَّزوا هذا المنجم بعيدًا عن عيون الفضوليِّين، وأظن أنهم أخفَوا «مخلب النسر» هنا تحت إحدى هذه المباني المتحركة أثناء انشغال العمال المحليِّين بالعمل داخل المنجم فلم يلاحظوا شيئًا!

عثمان: ولكن كيف استطاع هؤلاء الجواسيس إجبارَ الطائرة على الهبوط هنا؟!

إلهام: هل تتذكَّر ما أخبرَنا به رقم «صفر» عن رسالة تلقَّتْها القاعدة من الطائرة قبل اختفائها؟ لقد كانت تُفيد بأن الطيارين لا يسمعون القاعدة بوضوح ثم انقطع الاتصال ... إنه نفس الشيء الذي حدث لجهاز إرسالنا!

ضاقَت عينَا «عثمان» وهو يقول: هل تقصدين أنه تم التشويش على أجهزة الإرسال والاستقبال بالطائرة، ثم خاطبَت العصابةُ قائدَ الطائرة باعتبارها القاعدة وطلبوا منه الهبوط في هذا المكان لسبب ما ... فأطاعهم الطيار ومساعِداه ... إن هذا يفسِّر كلَّ شيء إذن ... لقد تمَّ القبض على الطيارين الثلاثة وإخفاء الطائرة هنا!

قالت «إلهام» لاهثةً: نعم ... إنها هنا بالتأكيد في مكان ما بتلك الأنفاق والحظائر أو لعلها في أحد الأنفاق الواسعة تحت سطح الرمال.

عثمان: ولكن ما هي خطوة عصابة «قبضة الموت» بعد ذلك؟ إذا كانوا قد حصلوا على الطائرة، فما الذي يجعلهم ينتظرون بعد ذلك؟ من الواضح أنهم يريدون الحصولَ على أسرار تكنولوجيا الطائرة بأيِّ ثمن ... بدليل أنهم لم يقوموا بأيِّ عملٍ تخريبي نحوها ... لماذا لم يتَّجهوا بها إلى أية جهة معادية ... الجهة التي موَّلَت تلك العملية؟!

إلهام: إنهم لا يستطيعون تهريبَها إلى خارج الحدود العراقية وإلا كشفَتهم قواتُ الحدود والرادار، خاصة والبحث يجري على قدَمٍ وساقٍ للعثور على «مخلب النسر» ... أظن أنهم لا يُضيِّعون وقتَهم الآن ... إنهم سوف يقومون بتهريب الطائرة بدون أن يشكَّ فيهم أحد ... سوف يفكِّكونها بكل تأكيد ليسهلَ نقْلها للخارج.

التفتَ «عثمان» بدهشة نحو «إلهام»، وقبل أن ينطق جاء صوتٌ من مكان ما يقول: يا لَكما من بارعَين! لقد ظننتُ أنكم مجردُ مجموعة قتالية تُنفِّذ الأوامر بلا عقل، فاكتشفتُ أن لكم عقلًا لا يقلُّ كفاءةً عن قدرتكم القتالية!

تبادلَ «عثمان» و«إلهام» النظراتِ ... لقد كان هناك ميكروفون بمكان ما بالحجرة ينقل ما يدور بينهما إلى صاحب ذلك الصوت الذي يبدو أنه المسيطر على ذلك المكان ... إنه زعيم عصابة «قبضة الموت» بلا شك!

وواصل الصوتُ قائلًا: إن موهبتَكما الفذة بالإضافة إلى رفيقكما الثالث الذي لا أشكُّ في مصيرِه المحتوم تُشجعني على أن أقابلَكما لأطْريَ كفاءَتَكما برغم وقتي الضيق ... سوف أمنحكما عشر دقائق؛ ففي العاشرة مساءً ينتهي كلُّ شيء ... فتمتَّعَا بوقتكما من الآن ...

تبادل «عثمان» و«إلهام» النظراتِ في صمت ... لقد منحهما القَدرُ فرصةً ذهبية لمقابلة زعيم عصابة «قبضة الموت» التي يواجهانِها لأول مرة، وكانت المواجهة في صالحهما دائمًا.

وبلغةِ الأصابع قال «عثمان» لـ «إلهام» حسنًا ... إن المرة القادمة لن تكون في صالحهم بكل تأكيد ...

ابتسمَت «إلهام» لأول مرة منذ وقوعها في الأَسْر وعاودَتها الثقة، وتمدَّد الاثنان فوق فراشَين خشبيَّين وقد أدركَا أن أفضل ما يفعلانِه هو النوم ليستعيدَا نشاطَهما في المساء ...

واستيقظَا قبل العاشرة بقليل فغسلَا وجهَيهما من صنبور صغير بركن الحجرة، وبعد لحظات انفتح البابُ أمامها فظهر ثلاثةٌ من أفراد العصابة مدجَّجين بالسلاح، وقاد أفراد العصابة «إلهام» و«عثمان» إلى ممرٍّ آخر انفتح في نهايته بابٌ إلكتروني يتكشَّف عنه قاعةٌ واسعة بها بعضُ الأجهزة الإلكترونية المعقَّدة وعددٌ من الفنيِّين. أدرك «عثمان» و«إلهام» أنهم تابعون لمخابرات تلك الدولة المعادية التي موَّلَت اختطافَ «مخلب النسر»، ووقعَت عينَا الشيطانَين على شخص ضخم بوجهٍ أحمر وشعرٍ دموي وملامح تُشبه الغوريلَّا، وتقدَّم ذلك الشخصُ منهما وقد التمعَت في عينَيه ابتسامةٌ سخرية قائلًا: مرحبًا بكما في عريننا ... إنني «ماكس» ويسموننني «ماكس الغوريلَّا» ... ومن المؤسف أننا لم نتقابل من قبل ... ولا أظنُّ أن أجلَكما سيتَّسعُ لمقابلة أخرى!

وقهقَه بغرور شديد بصوتٍ غليظ قبيح ... و«إلهام» و«عثمان» يرقبانِه بصمت. وقال «ماكس الغوريلا»: برغم أنني لا أفهم في هذه الأشياء كثيرًا إلا أن «مخلب النسر» شيءٌ رائع بكل تأكيد ... إن كلَّ هؤلاء الفنيِّين يقولون ذلك ... وأنا هنا لحمايتهم حتى لا تحدثَ مشكلةٌ دولية إذا ما عثرَت حكوماتُكم على دليل يُدين حكومتَهم في تلك المسألة ... إننا دائمًا نتدخَّل في مثل هذه المواقف ... وعادةً يكون ثمنُ خدماتنا كبيرًا.

وقهقَه مرة أخرى بصوتٍ غليظ قبيح، ثم قال: هيَّا أصطحبكما في هذا المكان الجميل ... إن من حقكما نزهةً قصيرة قبل أن تُغادرَا الحياة إلى الأبد!

غلَت الدماءُ في عروق «إلهام» فكادَت تندفع نحو الرجل القبيح لولا أن حذَّرها «عثمان» بعينَيه طالبًا منها الهدوء؛ فقد كان هناك أكثرُ من عشرة أفراد من رجال العصابة يقفون في كل مكان حاملين أسلحتَهم في وضعِ استعداد لإطلاقها.

وقادَهم «ماكس الغوريلا» في أنحاء المكان مفاخرًا، وعيون «إلهام» و«عثمان» تلتقط كلَّ صغيرة وكبيرة في الأجهزة الإلكترونية التي تلتقط الإشارات والمكالمات وتُسيطر على المكان وتستطيع التشويش على الاتصالات كما حدث لـ «مخلب النسر». قال «ماكس الغوريلا» سعيدًا: لقد أوشك عملُنا على الانتهاء ... سوف نُسلِّم «مخلب النسر» ونتسلَّم عشرة ملايين دولار ونرحل من هنا ... لقد ضاق صدري بهذا المكان، وأحسُّ براحة لأنه سيتحول إلى أنقاض عندما نُغادره في الصباح ... ومن المؤسف أنكما لن تُغادراه معنا!

وقهقَه مرة أخرى بصوته القبيح، وتوقَّف أمام باب إلكتروني، وبلمسةٍ من كفِّه على جزء خاص بالباب انفتح ليكشفَ عن مكان متسع برزَ في منتصفه هيكلٌ داخليٌّ مليءٌ بالأسلاك والمواتير وحوله عددٌ من الفنيِّين يعملون بنشاط كالنحل، وأشار «ماكس الغوريلا» إلى ذلك الهيكل قائلًا: هذه هي «مخلب النسر» وما تبقَّى منها! إننا بعد أن شوَّشنا على إرسالها أقنَعنا طيَّارَيها بالهبوط هنا وألقَينا القبضَ عليهم ثم انتزعنا الجهاز الخاص بإرسال الذبذبة التي تُفصح عن مكان الطائرة، وبعد ذلك أخفَيناها تحت الأرض، وبالطبع لم يعرف أحدٌ من العمال المحليِّين بالأمر؛ فقد منحناهم جميعًا إجازة في ذلك اليوم، وها هي «مخلب النسر» قد أوشكَت أن تتحول إلى أجزاء بسيطة مفكَّكة لا يشكُّ أحدٌ فيها عندما تَعبُر الحدود في دفعات متفرقة على أنها قِطَع غيار ... إنها خطة عظيمة! وقهقَه بشدة مفاخرًا ... وحدَّقَت فيه «إلهام» بغضبٍ هائل وهي تكتم غيظها ...

وقال «ماكس الغوريلا»: إن عصابتَنا لا تقوم في العادة بمثل هذه الأعمال، ولكن المبلغ كان ضخمًا فلم نستطع الرفض، وسنخرج لنستمتع بهذه النقود؛ فقد بدأ رجالي يتذمَّرون من البقاء هنا. سوف تكون نهاية دامية حقًّا لهذا المكان ... ولكنها تستحق المكافأة!

وأشار بيده، فأحاط أفراد العصابة المدجَّجين بالسلاح بـ «إلهام» و«عثمان»، ولم تحتمل «إلهام» أكثرَ من ذلك فبصقَت على الأرض باحتقار لا حدَّ له قائلةً: أظن أنك تستحق هذه الحياة أيضًا!

احتقن وجهُ «ماكس الغوريلا» بغضبٍ هائل، ورفع يدَه ليصفعَ بها «إلهام»، ولكن قبل أن تهبط يدُه لأسفل قفز «عثمان» نحوه وضربَه ضربةً مؤلمة، فسقط «ماكس الغوريلا» على الأرض وهو يتأوَّه، وسرعان ما أحاط أفراد العصابة المسلَّحين بـ «إلهام» و«عثمان»، ولكن لم يعبأ بهم، وقال لـ «ماكس الغوريلا» ساخرًا: وهذه أيضًا مكافأةُ مَن لا يُجيد التعامل بأدب مع الفتيات.

نهض «ماكس الغوريلا» وفي عينَيه حقدٌ عظيم، وصاح بصوت متحشرج: سوف تندمان على كل ذلك ... ما إن ننتهي من عملنا فأُقسم أن أحوِّلَكما إلى أشلاء ... سوف أتمتع كثيرًا بذلك.

وصرخ في أفراد عصابته: أعيدوهما إلى زنزانتهما.

فاقتادهما أفرادُ العصابة إلى الزنزانة الضيقة، ومن جديدٍ تم إغلاق الباب عليهما وتقلَّصَت قبضةُ «إلهام» بغضب هائل وهي تقول: هل سنموت هنا كالفئران؟! يجب أن نفعل شيئًا.

ضاقَت عينَا «عثمان» وهو يقول مستخدمًا لغةَ الأصابع: أظن أنَّ لديَّ فكرةً للخروج من هذا المكان. فالتفتَت نحوه «إلهام» بسرعة وسألَته بأصابعها عن خطته.

وفي هدوءٍ وبطْءٍ راحَ يشرح «عثمان» لها فكرتَه مستخدمًا أصابعَه السمراء الرشيقة ...

# الشياطين تكسب ... دائمًا!

كانت الخطة غايةً في البساطة؛ فبواسطة بعض المواد الحارقة البسيطة التي يحملها «عثمان» و«إلهام» أمسكَت النارُ بالفراشَين الخشبيَّين، وتصاعدَ الدخان الكثيف، فصرخَت «إلهام»: حريق! حريق!

واختبأ «عثمان» خلف الباب الفولاذي، وسرعان ما أقبلَ أحدُ رجال العصابة، وما إن شاهد الدخان من نافذة الباب الضيق حتى فتحَه بسرعة، وما كاد يخطو للداخل خطوةً واحدة حتى كانت قبضةُ «عثمان» موجَّهةً نحو رجل العصابة بقوة هائلة في نفس اللحظة التي طارَت فيها «إلهام» لتضربَه ضربةً قوية.

ولكن، وببساطة متناهية انحرف رجلُ العصابة المسلَّح عن قبضة «عثمان» كأنما يتوقَّعها فطاشَت الضربةُ في الهواء على حين مدَّ يدَه ليصدَّ ضربةَ «إلهام»، ثم دفعَها للخلف فسقطَت ذاهلة، وأمسك رجلُ العصابة بمدفعه الرشاش وهو يصوِّبه نحو الشيطانَين اللذَين أصابهما الذهولُ؛ لأنهما لم يتوقَّعَا أن تفشل محاولاتُهما وأدهشَتْهما تلك المهارةُ التي أبداها رجلُ العصابة، وعلَا صوتُ ميكروفون الحجرة الداخلي لـ «ماكس الغوريلا» يتساءل: ماذا حدث أيها الحارس؟!

ردَّ رجلُ العصابة وهو لا يزال مصوِّبًا سلاحَه نحو «إلهام» و«عثمان»: لقد كانَا يتحايلان للهروب من الزنزانة يا سيدي!

– وهل تم السيطرة عليهما؟

رجل العصابة: نعم يا سيدي، كلُّ شيء تحت السيطرة.

– هذا حسن؛ فهذان الشخصان يبدوان عظيمَي الخطورة ... أَغْلِق الزنزانة وابْقَ في حراستهما إلى الصباح ... ولا تفتح الزنزانة لأيِّ سببٍ أيها الحارس ... فسوف يكون لي معهما في الصباح شأنٌ آخر ... هل فهمت؟

الحارس: نعم يا سيدي. قالها رجل العصابة وهو يتفرَّس في «إلهام» و«عثمان» بعينَين شديدتَي الدهاء والبأس كعيون النسر.

وحدَّقَت «إلهام» في رجل العصابة ذاهلة! كان صوتُه مألوفًا لها بطريقة ما برغم محاولة تغييره، وعندما حدَّقَت أكثر في العينين العجيبتَين برغم اختلاف الملامح هتفَت بذهول غير مصدقة: «أحمد»؟!

وسرعان ما وضع رجلُ العصابة أصابعَه فوق فمها ليمنعَها من الحديث وليشيرَ لها إلى الميكروفون الذي ينقل كلَّ ما يدور إلى «ماكس»، وبيده الأخرى انتزع قناعَه الجلدي ليُظهرَ بأسفله وجهَ الشيطان الباسم ... «أحمد»!

وأشار «أحمد» لـ «عثمان» و«إلهام» أن يتبعاه، فخرجوا ثلاثتهم من الحجرة وأغلقوا بابها، وهتف «عثمان» لاهثًا: كيف نجوتَ وأتيتَ إلى هنا؟!

ردَّ «أحمد»: لقد تتبَّعتُكم وجئتُ إلى هنا، واختبأتُ في إحدى سيارات المنجم المتجهة إلى «السلمان»، فأخبرتُ بقيةَ الشياطين بما حدث، فأسرَعْنا إلى هنا وتمكَّنَّا من التسلُّلِ إلى الداخل بعد أن تنكَّرْنا في زيِّ رجال العصابة!

ونظر في ساعته قائلًا: لم تَعُد هناك إلا خمس عشرة دقيقة على موعد تفجير هذا المكان بكل ما فيه، ولا بد أن «خالد» و«رشيد» يقومان بوضع المتفجرات في أنحاء المكان.

هتف «عثمان» متسائلًا: والعمال المحليون؟!

أجاب «أحمد»: لقد تكفَّلَت «ريما» بإبعادهم عن المكان في سرية تامة وهم في طريقهم لـ «السلمان» تحسُّبًا لاحتمال إصابتهم في المعركة القادمة إذا ما بقوا داخل المنجم.

ضاقَت عينَا «إلهام» وهي تتساءَل: و«مخلب النسر»؟!

أحمد: لقد جاءَتْنا الأوامر من رقم «صفر» في «السلمان» بتفجيرها داخل هذا المكان.

اعترض «عثمان» قائلًا: ولكن ...

أحمد: أعرف ما تريد قوله يا «عثمان»، برغم أهمية «مخلب النسر»، إلا أن محاولةَ إخراجها من داخل المنجم خلال الوقت القليل المتبقي محاولةٌ مستحيلة، علاوة على أن كافة رسوم وتصميم الطائرة لدى حكومتنا ومن السهل صنْعُ نماذج أخرى للطائرة وتجربته في وقت قريب، إن مهمَّتَنا أساسًا هي منع وصول «مخلب النسر» للأعداء، والقضاء على عصابة «قبضة الموت» وجميع الجواسيس الموجودة هنا.

وصمتَ لحظة ثم قال: ونظرًا لسرية المسألة كلها؛ فقد طلب منَّا رقم «صفر» أن نُنهيَ العملية وحدَنا بدون تدخُّل أو مساعدة من الحكومة العراقية أو أية حكومة عربية أخرى ... إن الأمر متروكٌ لنا تمامًا ...

وأخرج مسدسَين كبيرَين من سُتْرتِه مدَّ بها إلى «عثمان» و«إلهام» وهو يقول: إن لنا مهمةً باقية هنا قبل أن نُغادر المكان، وهي أن نقوم بإنقاذ الطيارين الثلاثة الذين كانوا يقودون «مخلب النسر». ونظر في ساعته مرة ثانية وقال: هيَّا بنا؛ فلا وقتَ لإضاعته. وسار ثلاثتُهم و«أحمد» يتقدَّمُهم في الممر الطويل، وعلى بُعدٍ ظهرَ رجلان مسلَّحان من رجال العصابة، وما إن اقتربَا من الشياطين الثلاثة حتى أصابَتهما الدهشة لرؤية «عثمان» و«إلهام»!

وفي نفس اللحظة كانت كرة «عثمان» قد تكفَّلَت بإلقاء أحدهم في عالم الغيبوبة والثاني تكفَّلَت به ساقُ «إلهام» ... وسرعان ما بدَّل الاثنان ملابسَهما بملابس رجلَي العصابة، وغطَّت «إلهام» شعرَها بكاب أحدهما ...

وهتف «أحمد» فيهما: اتبعاني؛ فقد قمتُ بدراسة المكان، وأعرف طريقَ الطيارين.

وسار الثلاثة بخطوة عسكرية، وقابلَهم بعضُ رجال العصابة، فرفع الشياطين الثلاثة أيديَهم على بُعدٍ بالتحية، وردَّ رجال العصابة التحيةَ بدون أن يشكُّوا فيهم، وانحرف «أحمد» يسارًا وخلفه «إلهام» و«عثمان»، وهبط عدةَ درجات سلمية ثم انتهَوا أمام زنزانة حديدية قبع بداخلها الطيارون الثلاثة، وكانت هيئتهم وملابسهم في حالةٍ يُرثَى لها، وكان هناك اثنان من رجال العصابة يقومان بحراسة الزنزانة، فتقدَّم منهما «أحمد» قائلًا: إن «ماكس الغوريلا» يرغب في مقابلة الطيارين الثلاثة.

اعترض أحد رجال العصابة قائلًا: لم تَرِد إلينا أوامرُ في هذا الشأن ... هل لديك أمرٌ كتابي؟! وحدَّق في «أحمد» بشكٍّ!

وضع «أحمد» يدَه في جيبه الداخلي قائلًا: نعم، ها هو.

وفي لحظة خاطفة ضرَب الرجلَ ضربةً قوية فألقَته أرضًا ... وعلى بُعْد مترين تقريبًا وكالعادة عاجلَته «بطة» كرة «عثمان» الجهنمية؛ فإنها كانت تُبادر بالمشاركة في اللحظة المناسبة بلا سابق إنذار، وهكذا تكوَّم رجلُ العصابة الثاني فوق زميله وقد تراقصَت النجوم بألوانها الزاهية في عينَيه.

وأسرعَت «إلهام» تستلُّ مفاتيحَ الزنزانة من رجلَي العصابة الغائبَين عن الوعي، وأطلقَت سراح الطيارين الثلاثة ... وفجأةً دوَّت صفارةُ إنذار عالية، فهتفَت «إلهام» بدهشة: ما هذا؟! إنها أشبهُ ما تكون بصفارة إنذار بهروب الطيارين!

هتف «أحمد» قائلًا: أظن أن هناك زرًّا سريًّا كان من الواجب الضغط عليه قبل فتْح الزنزانة حتى لا تنطلقَ الصفارة تحسُّبًا لهروب الطيارين ... هيَّا بنا نخرجْ من هنا؛ فلا بد أن العشرات من رجال العصابة سوف يُسرعون لقتالنا!

والتقط الطيارون الثلاثة أسلحةَ رجلَي العصابة، وسرعان ما كان الستة يَجْرون صاعدين السلالم القليلة المفضية إلى الممر، وظهرَت أول دفعة من رجال العصابة، فعاجلَتها رصاصاتُ الشياطين بدفعة سريعة ألقَتهم أرضًا، واندفع الشياطين والطيارون في الممر، وكلما قابلهم بعضٌ من رجال العصابة عاجلوا بإطلاق الرصاص عليهم.

كان «أحمد» يهدف للوصول إلى أماكن الجيب لاستغلالها في مغادرة المكان بسرعة، وكانت عيناه على عقربَي الدقائق والثواني بساعته الفسفورية ...

وهتف بسرعة: لم تَعُد هناك إلا أربعُ دقائق على انفجار المكان ... دعونا نغادره بأقصى سرعة!

وظهرَت من بعيد السيارات الجيب، وكأنما أدرك رجالُ العصابة غرضَهم، فأسرعوا يُطوِّقون السيارات ويحتمون خلفها ويمنعونهم من الوصول إليها، وأخذوا يُطلقون الرصاص في اتجاه الشياطين والطيارين الثلاثة.

غضب «أحمد» غضبًا شديدًا وهو ينظر إلى ساعته ... كانت الثواني تمرُّ بسرعة، وكل ثانية تمرُّ تُقلِّل من فرصتهم في النجاة، كما كان من المستحيل الوصول إلى الجيب دون التعرض لرصاص العصابة وحدوث خسائر جسيمة ...

فاحتمَى الستة خلف الجدران من رصاصات رجال العصابة. برز «عثمان» من مخبئِه وراح يُطلق رصاصَ مدفعه في غضب شديد تجاه رجال العصابة، ففوجئ ببعض الطلقات التي كادَت تُصيبه في رأسه فهتفَت «إلهام» محذرةً له، فأسرع «عثمان» يُلقي بنفسه خلف الجدار ليحتميَ به من الرصاص، وهتف بسخط: إن هذا المكان أشبهُ بالمصيدة ... كيف السبيل إلى الخروج من هنا؟! إن أفراد هذه العصابة يبدون كما لو كانوا لا نهاية لعددهم!

ونظر «أحمد» في ساعته ... كانت قد بقيَت دقيقتان بالضبط على انفجار المكان ... وفجأة جاءَت النجدة بطريقة غير متوقعة ... فمن خلف ظهور رجال العصابة ظهر «خالد» و«رشيد» و«ريما»، وفي أيديهم الرشاشات على حين غرَّة، وراحوا يُطلقون رصاصَهم نحو رجال العصابة الذين فُوجئوا بما حدث، وحاصرَتْهم المجموعتان حتى قضَوا عليهم، وهلَّل «أحمد» و«إلهام» و«عثمان»، وفي ثوانٍ قليلة كان الشياطين الستة والطيارون الثلاثة يستقلُّون ثلاث سيارات جيب وينطلقون بها باتجاه مدخل النفق الأرضي، وعينُ «أحمد» تُراقب الثواني بساعته ... كانت قد بقيَت نصفُ دقيقة فقط على انفجار المكان ... تسع وعشرون ثانية ... ثمانٍ وعشرون ... سبع وعشرون ... وضغطَت «إلهام» و«ريما» و«عثمان» فوق دواسات البنزين لتزأرَ السيارات الثلاث كالسهام في الممر. عشرون ثانية ...

تسع عشرة ... ثماني عشرة ... وظهرَت مجموعة أخرى من رجال العصابة تسدُّ الطريق بمدافعهم الرشاشة يتقدَّمهم «ماكس الغوريلا»، وهتف «أحمد» في رفاقه: لا تتوقَّفوا!

واندفعَت السيارات الثلاث نحو الحاجز البشري، وانهال الرصاص على سيارات الجيب فأخفى الشياطين والطيارون رءوسَهم إلى أسفل، وأسرع رجال العصابة بأنفسهم بعيدًا عن السيارات المارقة والتي فشلَت رصاصاتُهم في إيقافها.

وتأخَّر «ماكس الغوريلا» أقلَّ من جزء على الثانية فطرحَت به الجيب الأولى وألقَته جثةً هامدة للخلف، وكان عقرب الثواني لا يزال يرمح بسرعة كأنه يتعجل النهاية ... عشر ثوانٍ ... تسع ... ثمانٍ ... وظهرَت أبواب النفق مقفلة على بُعْد عشرات الأمتار ... وراقب «أحمد» عقاربَ ساعته لاهثًا وهتف في رفاقه: اخترقوا الأبواب بأقصى سرعة!

واندفعَت السيارات الثلاث نحو الأبواب لتخترقَها بقوة هائلة، وتحطَّم جدار المبنى الإداري الكبير الذي يعلوها لتخرج السيارات إلى النور ... خمس ثوانٍ ... وصرخ «أحمد»: بأقصى سرعة! ... وبأقصى ما تحتمله السيارات الثلاث من سرعة انطلقَت فوق الأرض الرملية ... ثلاث ثوانٍ ... وصرخ «أحمد»: غادروا السيارات! ودوَّت الفرامل الحادة ثم قفز الجميع ليُلقوا بأنفسهم خلف أحد التلال الرملية في مواجهتهم تمامًا ... ثانية واحدة ... استلقى الجميع فوق الأرض وقد وضعوا أيديَهم فوق آذانهم ... ودوَّى الانفجار الهائل ... اهتزَّت الأرض تحتهم وحولهم كأنها جوفُ مارِدٍ رهيب يغلي بالنار ... وانهارَت الأرض الرملية أمامهم على بُعْد أمتار قليلة! وراحَت الانفجارات تُدوِّي واحدًا وراء الآخر لتُطلق ألسنة اللهب نحو السماء مخترقًا الطبقة السطحية الرملية بقوة هادرة ... وظلَّت الانفجارات تُدوِّي دقائق قبل أن يعود الهدوء إلى المكان على حين ظلَّت ألسنة اللهيب تنبعث داخل الأرض ...

وأخيرًا نهض الشياطين الستة وفي عيونهم بريقُ الانتصار، وتعانقوا بسعادة على حين لمعَت دموع الفرحة في عيون الطيارين الثلاثة الذين لم يصدِّقوا أنهم نجَوا بتلك الصورة غير المتوقعة.

وتساءَلت «إلهام» بقلق: كيف سنغادر هذا المكان ونعود إلى «السلمان» ... ولم تَعُد هناك سيارة واحدة سليمة؟!

ابتسم «أحمد» ونظر في ساعته قائلًا: بقيَت نصف دقيقة.

وقبل أن تسألَه «إلهام» عمَّا يقصده ظهرَت في الأفق من بعيد طائرة هليكوبتر كبيرة اقتربَت من موقعهم، ثم هبطَت أمامهم مثيرةً عاصفة من الأتربة ...

والتفتَت «إلهام» مندهشة إلى «أحمد»، فقال بابتسامة أوسع: كنت واثقًا من نجاحنا كالعادة وها هو رقم «صفر» يُرسل إلينا وسيلةً مريحة للعودة إلى شواطئ «سيناء» ... أعتقد أن من حقِّنا إكمال إجازتنا هناك!

ضحكَت «إلهام» قائلةً: إذن فسيزيد وزني مرة ثانية ... إن هذه المهمة المثيرة جعلَتني أفقد كلَّ ما زدتُه من كيلوجرامات خلال الأسابيع السابقة التي قضيتُها في كسل!

ضحك «أحمد» قائلًا: أما أنا فأرغب في استعادة اللون البرونزي مرة أخرى ...

وانطلق الشياطين يضحكون بمتعة كبيرة، وتدافعوا نحو الهليكوبتر التي ضمَّتهم والطيارين الثلاثة، وارتفعَت الطائرة في الهواء، ودارَت مرة ثانية حول المنجم المتفجر قبل أن ترتفع مبتعدةً عن مكان المغامرة المدهشة!

هنـــداوي